

(1) تقسيم الناس

قد يوفق الله عبدا من عباده في حالة صفاء ذهني ، مع استعداد فطري إلى ابتكار كلمات بديعة، ومعان أنيقة تسير مسير الأمثال ، وتقع موقع الحكم ، فتعزى إلى مفترعها ، وتنسب إلى مبتكرها منسب بنات الصلب إليه .

والنطق جزآن فبعر ودرُّ * والناس اثنان فنذل وحرُّ

ومن ذلك تقسيم علي بن قاسم حنش الناس إلى ثلاثة أقسام

ترجم الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني 1173-1250 في كتابه البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع 474 للعلامة علي بن قاسم حنش 1143-1219.

ووصفه بالكرم النادر، والذكاء الباهر ، وحضور البديهة، وحسن الفراسة ، وجمال المشاركة في العلم والأدب والتأريخ ، ومقاساة التجارب ، ومعاناة صروف الدهر .

قال الشوكاني في بيان ابتكار تقسيمه الحاصر للناس: ومن محاسن كلامه الذي سمعته منه : الناس على طبقات ثلاث : فالطبقة العالية العلماء الأكابر ، وهم يعرفون الحق

والباطل . وإن اختلفوا لم ينشأ عن اختلافهم الفتن ، لعلمهم بما عند بعضهم بعضا .

والطبقة السافلة عامَّة على الفطرة ، لا ينفرون عن الحق ، وهم أتباع من يقتدون به: إن كان محقا كانوا مثله، وإن كان مبطلا كانوا كذلك .

والطبقة المتوسطة هي منشأ الشر ، وأصل الفتن الناشئة في الدين . وهم الذين لم يمعنوا في العلم حتى يرتقوا إلى رتبة الطبقة الأولى ، ولا تركوه حتى يكونوا من أهل

الطبقة السافلة ، فإنهم إذا رأوا أحدا من أهل الطبقة العليا يقول ما لا يعرفونه مما يخالف عقاندهم التي أوقعهم فيها القصور ، فوَقَّوا إليه سهام التقرُّيع ، ونسبوه إلى كل

قول شنيع ، وغيروا فطر أهل الطبقة السفلى عن قبول الحق بتمويهات باطلة . فعند ذلك تقوم الفتن الدينية على ساق.

هذا معنى كلامه الذي سمعناه منه . وقد صدق ، فإن من تأمل ذلك وجده كذلك اهـ

ولقد حام شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الاستغاثة في الرد على البكري 411 حول هذا التقسيم الحاصر البارِع ، وأشار إلى فداحة المصيبة بإفساد الطبقة المتوسطة ، وشدة

البلاء بفتنتهم حين قال: وقد قيل : إنما يفسد الناس نصف متكلم ، ونصف فقيه ونصف نحوي ، ونصف طبيب . هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد اللسان ،

وهذا يفسد الأبدان . لاسيما إذا خاض هذا في مسألة لم يسبق إليها عالم ، ولا معه فيها نقل عن أحد.